

دَعِ الْقَلَّاقَ ...



لا تحزن°، فإنَّ ربَّكَ يقولُ:

(أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ) (الشرح/ 1): وهذا عامٌّ لكلِّ من حمَلَ الحقَّ، وأبصر النور، وسلك الهدى.

(أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّنْ رَبِّهِ) (فَوَيْلٌ لِلْعَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِّنْ ذِكْرِ اللَّهِ) (الزُّمَر/ 22): إذاً فهناك حقٌّ يشرحُ الصدور، وباطلٌ يقسُّ عليها.

(فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ) (الأنعام/ 125): فهذا الدينُ غايةٌ لا يصلُ إليها إلا المسدَّد.

(لا تحزن° إنَّ اللَّهَ مَعَنَا) (التوبة/ 40): يقولها كلُّ من يتفكَّر في رعاية الله، وولايته ولفظه ونصره.

(الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدِ جَمَعُوا لَكُمْ فَاتَّخِذُوا لَهُمْ فِرَادَهُمْ إِيْمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ) (آل عمران/ 173): كفايته تكفيك، وولايته تحميك.

(يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) (الأنفال/ 64): وكلُّ من سلكَ هذه الجادة، حصلَ على هذا الفوز.

(وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ) (الفرقان/ 58): وما سواه فميتٌ غيَّرُ حيٍّ، زائلٌ غيَّرُ باقٍ، ذليلٌ وليس بعزيز.

(وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ

مِمَّا يَمْكُرُونَ * إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ (النحل/ 127-128): فهذه معيته الخاصة لأوليائه بالحفظ والرعاية والتأييد والولاية، بحسب تقواهم وجهادهم.

(وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) (آل عمران/ 139): علواً في العبودية والمكانة.

(لَنْ يَضُرَّكُمْ إِلَّا أَذًى وَإِنْ يُقَاتِلْوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُضْضِرُّونَ) (آل عمران/ 111).

(كَتَبَ اللَّهُ لِلْغُلَامَيْنِ أَنْزَا وَرَسُولِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ) (المجادلة/ 21).

(إِنْ زِلْنَا لَنُذْضِرُّ رَسُولَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهُادُ) (غافر/ 51).

وهذا عهد لن يُخْلَفَ، ووعد لن يتأخَّرَ.

(وَأُفْوِضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ * فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتٍ مَّا مَكَرُوا) (غافر/ 45).

(وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ) (آل عمران/ 122).

لا تحزن وقدَّرتُ أنك لا تعيش إلا يوماً واحداً فحَسْبُ، فلماذا تحزن في هذا اليوم، وتغضب وتثور؟!

في الأثر: "إذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وإذا أمسيت فلا تنتظر الصباح".

والمعنى: أن تعيش في حدود يومك فحَسْبُ، فلا تذكر الماضي، ولا تقلق من المستقبل. قال الشاعر:

ما مضى فات والمومِّلُ غَيِّبٌ *** ولك الساعة التي أنتَ فيها

إنَّ الاشتغال بالماضي، وتذكُّر الماضي، واجترار المصائب التي حدثت ومضت، والكوارث التي انتهت، إنما هو ضَرَبٌ من الحُمُقِ والجنون.

يقول المثل الصيني: لا تعبر جِسْراً حتى تأتية.

ومعنى ذلك: لا تستعجل الحوادث وهمومها وغمومها حتى تعيشها وتدرکها.

يا ابن آدم، إنما أنت ثلاثة أيام: أمسك وقد ولّيتي، وغدك ولم يأت، ويومك فاتقِ □ فيه.

كيف يعيش من يحمل هموم الماضي واليوم والمستقبل؟! كيف يرتاح من يتذكر ما صار وما جرى؟! فيعيده على ذاكرته، ويتألم له، وألمه لا ينفعه!

ومعنى: "إذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وإذا أمسيت فلا تنتظر الصباح": أي: أن تكون قصير الأمل، تنتظر الأجل، وتحسن العمل، فلا تطمح بهومك لغير هذا اليوم الذي تعيش فيه، فتركز جهودك عليه، وتُرتب أعمالك، وتصبِّ اهتمامك فيه، محسِّناً خُلُقَكَ مهتماً بصحتك، مصلحاً أخلاقك مع الآخرين.

لا تحزن°: لأنَّ القضاء مفروعٌ منه، والمقدور واقعٌ، والأقلام جَفَّتْ، والصحف طُويت، وكلُّ أمر مستقرٌ، فحزنك لا يفدُـم في الواقع شيئاً ولا يؤخِّر، ولا يزيد ولا يُنقصُ.

لا تحزن°: لأنك بحزنك تريد إيقاف الزمن، وحبسَ الشمس، وإعادة عقارب الساعة، والمشي إلى الخلف، وردَّ النهر إلى منبعه.

لا تحزن°: لأنَّ الحزن كالريح الهوِّجاء تُفسدُ الهواء، وتُبعثر الماء، وتغيِّرُ السماء، وتكسر الورود اليانعة في الحديقة والغَناءِ.

لا تحزن°: لأنَّ المحزون كالنهر الأحق، ينحدر من البحر ويصبُّ في البحر، وكالتي نقصت غزلها من بعد قوةٍ أنكاثاً، وكالنافخ في قربةٍ مثقوبةٍ، والكاتب بإصبعه على الماء.

لا تحزن: فإنَّ عمرَكَ الحقيقي سعادتك وراحتهُ بالِكَ، فلا تُنفق أيامَكَ في الحزن، وتبذِّر لياليكَ في الهم، وتوزِّع ساعاتِكَ على الغموم، ولا تسرف في إضاعة حياتِكَ، فإنَّ □ لا يحبُّ المسرفين.

المصدر: كتاب لا تحزن